انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا: الملامح والأسباب

خير سالم ذيابات[1]

تاريخ تسلم البحث: ٢٠١٨/٣/١٤م تاريخ قبوله للنشر: ٢٠١٨/١١/٢٥م

ملخص

تبحث هذه الدراسة في ظاهرة انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق سوريا والتي بدأت بشكل ملحوظ منذ عام ٢٠١٥م والتي أعقبت سلسلة من النجاحات التي حققها التنظيم في بعض المناطق العراقية والسورية والليبية عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م. وقد استندت الدراسة في فرضيتها على مقولة مفادها" وجود علاقة ارتباطية بين انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" وبين وجود العديد من العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في تحقيق هذا الانهيار. وللوصول إلى ذلك، قسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام: الأول وقد تضمن توصيفا لبداية التراجع الذي يعيشه تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ نهاية عام ٢٠١٤م، ولأهم المظاهر التي يمكن توصيفها لانهيار التنظيم. أما القسم الثاني، فقد عمل على تحليل كلا البيئتين الداخلية والخارجية للتنظيم بهدف الوقوف على أهم العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في تراجع وانهيار التنظيم. أما القسم الثالث، فقد اهتم بعرض السيناريوهات المستقبلية للتنظيم. وقد قام الباحث باستخدام كلا من المنهج التاريخي والوصفي التحليلي لتوضيح جوانب هذه الدراسة. وقد خلصت الدراسة إلى عدة استنتاجات كان أبرزها: وجود أثر للعديد من العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا، مع الإشارة إلى أن الحديث عن هزيمة التنظيم بشكل نهائي لا زال مبكرا نظرا لاحتمالية قدرة عناصر التنظيم على تعبئة عناصر جديدة في الأشهر والسنوات المقبلة لممارسة النشاط الإرهاب كما فعلت في الماضي القريب.

الكلمات الدالة: تنظيم "الدولة الإسلامية"، الإرهاب، التحالف الدولي ضد الإرهاب.

Abstract

This study examines the phenomenon of the collapse of the "Islamic State"-Group in Iraq Syria, which began significantly since 2015, after a series of successes achieved by the group in some areas of Iraq, Syria and Libya in 2013 and 2014. The study is based on the premise in the argument that " the existence of a correlation between many internal and external factors and the collapse of the "Islamic State"-Group. To achieve this, the

(١) قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك.

study is divided into three parts: The first one presents an idea about the beginning of this collapse that the group had lived since the end of 2014 as well the most important features of this collapse. The second tries to examine the internal and external environment of the group to identify the most important internal and external factors that contributed to the decline and collapse of this group. In the third part, the researcher was interested in presenting the future scenarios of the future of this group after its collapse. The researcher has adopted the descriptive as well as the historical analytical approach to clarify aspects of the study. The study concluded several conclusions, most notably that: the impact of many internal and external factors that contributed to the collapse of the "Islamic State"-Group in Iraq and Syria, noting that the talk of a final defeat of this group is still early considering the possibility that the group can inspire people in coming months and years to commit atrocities in the way it has done in the recent past.

Key words: The "Islamic State"-Group, Terrorism, International Coalition Against Terrorism.

المقدمة.

يعيش تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ عام ٢٠١٥م حالة من الضعف والتراجع بعد أن كان يمثل أحد أقوى التنظيمات الجهادية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا على وجه العموم وفي العراق وسوريا وليبيا على وجه الخصوص. فبعد مرحلة نشوة الانتصار التي عاشها التنظيم خلال عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م والتي تمثلت بفرض وجوده كفاعل إقليمي عابر للقارات (آسيا وإفريقيا وأوروبا) بدأ التنظيم يدخل مرحلة من التراجع والضعف منذ عام ٢٠١٥م، مما قاد إلى تحجيمه وبالتالي انهياره خاصة بعد فقدانه للمناطق التي كان يسيطر عليها، مما يفقده إمكانية تحقيق هدفه الرئيس المتمثل بإقامة "دولة خلافة إسلامية" ممتدة لتشمل مناطق مختلفة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجزء كبيرً من غرب آسيا وأجزاء من أوروبا. من هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث في رصد مرحلة الانهيار التي يعيشها تنظيم "الدولة الإسلامية"، ولتميط اللثام عن العوامل الداخلية والخارجية التي أوصلت بالتنظيم إلى حافة الانهيار، ولتكشف عن النتائج المحتملة والمترتبة لانهيار هذا التنظيم في المنطقة العربية.

مشكلة الدراسة.

تنبثق مشكلة الدراسة من المرحلة الزمنية التي يعيشها تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ عام ٢٠١٥م؛ فبعد أن عاش التنظيم مرحلة من الانتصارات والنجاحات الفعلية خلال عامي ٢٠١٣/٢٠١٤م والتي

تمثلت بالاستيلاء على أجزاء واسعة من أقاليم بعض الدول في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (العراق وسوريا وليبيا) بدأ التنظيم يدخل مرحلة مغايرة تماما منذ عام ٢٠١٥م، والتي اتسمت بلجم نشاطه، بل وتحجيمه وتحول انتصاراته إلى خسائر فادحة ألمت بالتنظيم، مما خلخل توازنه ووضعه على حافة الانهيار. وفي ظل هذا التحول، أدرك الباحث ضرورة الكشف عن العوامل التي يمكن أن تكون قد أسهمت في تراجع نشاط تنظيم "الدولة الإسلامية" في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وآثار ذلك على المنطقة، مما جعل إشكالية هذه الدراسة تتمحور حول محاولة الإجابة عن سؤال مركزي يمكن طرحه على الشكل الآتي: **ما هي العوامل التي أسهمت في انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا؟**

وبهدف المزيد من الإحاطة والتبسيط لإشكالية البحث، يطرح الباحث أيضا جملة من الأسئلة الفرعية، والتي أهمها:

١- ما هي أهم مؤشرات انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية"؟
٢- ما هي العوامل التي أسهمت في تراجع هذا التنظيم وبالتالي قادت إلى انهياره؟
٣- ما هي أهم السيناريوهات المحتملة التي قد يواجهها التنظيم بعد سقوطه؟
٤- هل سيقود هذا الانهيار إلى زوال التنظيم بشكل نهائي؟

أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مرحلة جديدة يعيشها تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ عام ٢٠١٥م والتي تتمثل بمرحلة من الضعف والتراجع الذي يقود إلى حالة الانهيار الكامل وفقدان السيطرة على الأقاليم التي توسع فيها عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م. كما تحاول الدراسة رصد وتفسير العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في وصول التنظيم لهذه المرحلة. وأخيرا تسعى الدراسة إلى توضيح أهم السيناريوهات المستقبلية للتنظيم بعد هذا الانهيار.

أهمية الدراسة.

تستمد هذه الدراسة أهميتها من جانبين: علمي وعملي. أما الأهمية العلمية فتستند إلى كون موضوع الدراسة من المواضيع الحيوية والحديثة، كونه يتعلق بدراسة أحد أهم تنظيمات السلفية الجهادية الذي فرض حضورا قويا في المنطقة. حيث تتناول عوامل الانهيار الذي ألم بالتنظيم، وتبحث العلاقة بين انهيار هذا التنظيم وانعكاسات ذلك على المنطقة، خاصة وأن البحث في هذا الموضوع يشكل

خامة علمية فريدة بالنسبة للمهتمين بالتنظيمات الإرهابية، في ظل ندرة الدراسات العلمية التي تناولت هذا الموضوع.

أما بالنسبة لأهمية العملية، فيمكن لمسها من خلال دراسة أهم التنظيمات التي شكلت تهديداً مباشرا لاستقرار منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث سعى التنظيم إلى إعادة تشكيل الخريطة السياسية للمنطقة وفق أيدلوجية فكرية متطرفة، مما جعله خصما للعديد من الدول الإقليمية والدولية التي استثمرت بعض العوامل الداخلية والخارجية في محاولة إزاحته عن خريطة المنطقة. لذلك قد تسهم هذه الدراسة في تقديم منظور تفسيري لانهيار هذا التنظيم، مما يتيح لكافة المهتمين من صانعي قرار أو غيرهم من المهتمين في الدول المعنية استثمار العوامل الداخلية والخارجية التي يمكن أن تشكل موطن ضعف في هذه التنظيمات المتطرفة في حربهم ضد الإرهاب.

حدود الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على المحددات الآتية:

- المحدد الموضوعي: ويتمثل بدراسة العوامل الداخلية والخارجية بتنظيم "الدولة الإسلامية" كمتغير مستقل، وانهيار التنظيم ونتائج ذلك كمتغير تابع.
- المحدد المكاني: ويتمثل بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خاصة في دول العراق وسوريا.
- المحدد الزمني: ويتمثل بالفترة الزمنية الممتدة من عام ٢٠١٤م (فترة نجاح التنظيم في العراق وسوريا) وحتى نهاية عام ٢٠١٧م (تاريخ إعداد هذه الدراسة).

فرضية الدراسة.

تفترض هذه الدراسة وجود علاقة ارتباطيه ايجابية بين توفر العديد من العوامل الداخلية والخارجية المحيطة بتنظيم "الدولة الإسلامية" وبين مرحلة الانهيار التي يعيشها التنظيم. بمعنى أنه كلما زادت أثر هذه العوامل على التنظيم، كلما زادت درجه إضعافه وبالتالي انهياره.

منهجية الدراسة.

عملت هذه الدراسة على استخدام العديد من المناهج في بحثها لظاهرة انهيار التنظيم. فقد تم توظيف المنهج التاريخي في رصد مرحلة النجاح والتي أعقبتها مرحلة الفشل التي عاشها التنظيم في الفترة ٢٠١٣-٢٠١٧م. في حين تم توظيف منهج تحليل النظم بهدف رصد البيئة الداخلية والخارجية

التي أحاطت بالتنظيم والتي تفاعلت على نحو ما، حيث تمخض عنها بعض المخرجات والتي تمثل أهمها بمخرج أفول وانهيار التنظيم.

الدراسات السابقة.

لعل أهم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع هي ما يأتي:

١) دراسة حسن هنية (٢٠١٨م): **تنظيم "الدولة الإسلامية" ما بعد أفول خلافته.** حيث يشخص الباحث بعض العوامل التي أسهمت في أفول تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا. ويعتقد الباحث في هذه الدراسة أن تحقيق نصر نهائي على تنظيم "الدولة الإسلامية" لا يزال بعيدا، على اعتبار أن الهزيمة التي تلقاها التنظيم ترتبط بالسيطرة المكانية على المناطق العراقية والسورية دون القضاء على أيدولوجيته الجهادية، والتي يمكن أن تنتعش لاحقا من خلال حرب العصابات (أبو هنية، ٢٠١٨م).

٢) دراسة علي بكر (٢٠١٧م): **التداعيات المحتملة لهزيمة "داعش" في الموصل.** حيث يتناول الباحث في هذه الدراسة أن سقوط مدينة الموصل العراقية حملت تداعيات سلبية على تنظيم "الدولة الإسلامية" أهمها الاهتزاز الفكري والتنظيمي للتنظيم الذي سيؤثر عملياته وعلى وجوده في المنطقة. إلا أن الباحث يرى بأن هذا لا يعني نهاية التنظيم بشكل نهائي، خاصة وأن التنظيم استطاع أن يرسخ أفكاره في عقول الفئة الشبابية، وهذا ما يستلزم الدخول بمعركة أيدلوجية صعبة ومعقدة ضد التنظيم، بعد هزيمة التنظيم عسكريا، الأمر الذي يستدعي وضع رؤية محددة لمواجهة أفكار التنظيم في مرحلة ما بعد "داعش"، حتى يتم القضاء عليه بشكل نهائي (بكر، ٢٠١٧م).

٣) دراسة Richard Barett (2017): **Beyond the Caliphate: Foreign Fighters and the Threat of Returnees.** حيث ركز الباحث في هذه الدراسة على ظاهرة المقاتلين العائدين من صفوف تنظيم "الدولة الإسلامية"، والذين سبق لهم أن انخرطوا في العمليات القتالية تحت راية التنظيم في العراق وسوريا. فقد عرض الباحث لبعض الأرقام التقديرية لهؤلاء المقاتلين، وللدول التي جاؤوا منها، ثم عرض لأرقام تقديرية لبعض العناصر العائدة إلى مواطنها الأصلية، محذرا من أن يعملوا على نقل الفكر الجهادي لدولهم بعد أن خسر التنظيم معاركه العسكرية في العراق وسوريا (Barett, 2017).

٤) دراسة Seth G. Jones (2017): **Rolling back the Islamic State.** حيث قدم الباحث وآخرون عدة دراسات حول ظاهرة صعود تنظيم "الدولة الإسلامية" وحول بعض النجاحات الإقليمية

في عديد من دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (العراق وسوريا وليبيا ونيجيريا). كما قام الباحثون بالتركيز على الحملة الدولية العسكرية بقيادة الولايات المتحدة والتي كان لها أثرا في هزيمة هذا التنظيم. كما حذر الباحثون من أن تهديدات تنظيم "الدولة الإسلامية" ستبقى تلوح في الأفق رغم هزيمة التنظيم العسكرية، وبالتالي دعا الباحثون الولايات المتحدة إلى مواصلة جهودها في قيادة استراتيجية دولية ضد الإرهاب خاصة في المناطق التي يحتمل أن تظهر فيها بعض الخلايا الإرهابية المؤيدة للتنظيم في آسيا الوسطى وأفريقيا (Jones, 2017).

٥) دراسة Stefan Heissner (2017): **Caliphate in Decline: An estimate of Islamic States financial fortunes**. وقد تعرض الباحث في هذه الدراسة إلى ظاهرة المصادر التمويلية المختلفة التي شكلت مصدرا رئيسيا في تمويل نشاطات التنظيم خلال فترة نجاحاته، ثم بين الباحث كيف أن الإيرادات المالية لهذه المصادر أخذت في التناقص، مما كان له أثرا في إضعاف التنظيم (Heisser, 2017).

ولعل ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة التي تم عرضها، بأنها تحاول دراسة أسباب ضعف التنظيم ضمن معطيات بيئته الداخلية والخارجية، مما يعطيها ميزة إبراز أهم العوامل الداخلية والخارجية التي قادت إلى أفول التنظيم حيث قدمتها في إطار تحليلي وإحصائي، بعكس معظم الدراسات السابقة التي كان جل تركيزها على جانب معين من هذه الجوانب. ميزة أخرى لهذه الدراسة تتمثل في تقديم عدة سيناريوهات مستقبلية حول مستقبل التنظيم، والتي يمكن أن تسهم في تحذير صانعي القرار في الدول المنخرطة في مكافحة الإرهاب من تهديدات محتملة لعناصر هذا التنظيم.

أولاً: مظاهر انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ عام ٢٠١٤م.

لا يمكن إنكار أن تنظيم "الدولة الإسلامية" بقيادة أبي بكر البغدادي قد حقق صعوداً ملحوظاً في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بشكل عام، وفي كل من العراق وسوريا وليبيا بشكل خاص، خاصة في الفترة التي تزامنت مع إعلان نفسه دولة "خلافة عالمية" في ٢٩ حزيران ٢٠١٤م (أبو هنية، ٢٠١٨م). فتداعيات الربيع العربي في هذه الدول، واستغلال حالة الضعف السياسي والعسكري التي عاشتها أنظمتها، أسهمت في توسيع مناطق سيطرة تنظيم البغدادي خاصة على الأراضي العراقية والسورية والليبية (ذيابات، ٢٠١٥م). إلا أن الدراسة تعتقد بأن هذه النجاحات المفاجئة والسريعة لم تعدُ أن تكون نجاحات مؤقتة وقصيرة الأمد، بل أنها مهدت لمرحلة لاحقة عمادها الانهيار وسقوط حلم الخلافة. فما هي إلا أشهر عدة حتى بدأ التنظيم يدخل في مرحلة من الضعف والتفكك وعدم التوازن،

والتي انعكست بشكل جلي من خلال فقدان السيطرة التدريجي على الأراضي التي حكمها التنظيم في الفترة ٢٠١٣-٢٠١٥م.

فقد عملت الولايات المتحدة على تشكيل تحالف دولي واسع تحت قيادتها في آب ٢٠١٤م، والذي هدف إلى وضع استراتيجية طويلة الأمد من أجل مكافحة وإزالة تنظيم "الدولة الإسلامية". فوفق بيان التحالف الأول الذي صدر في الثالث من أيلول ٢٠١٤م، يلتزم المشاركون بهذا التحالف -وقد فاق عددهم ٦٠ دولة عربية وغربية-بالآتي (The Counter-ISIL Coalition, 2014):

١. دعم العمليات العسكرية ضد خطر تنظيم "الدولة الإسلامية"
٢. العمل على وقف تدفق المقاتلين الأجانب الهادفين للانضمام للتنظيم.
٣. التعاون في قطع سبل تمويل ودعم التنظيم
٤. التعاون في مجال الإغاثة الإنسانية لضحايا التنظيم من لاجئين ونازحين
٥. العمل على كشف طبيعة التنظيم الإرهابية من خلال توضيح دحض آلته الإعلامية والخطابية.

إلى جانب ذلك، فإن التدخلات العسكرية الخارجية التي مارستها بعض القوى الدولية والإقليمية مثل روسيا وإيران وتركيا منذ عام ٢٠١٥م وبغض النظر عن دوافعها أو شرعيتها كان لها أثر في التضييق على نفوذ التنظيم في مناطق سيطرته وخاصة في العراق وسوريا (أبو هنية، ٢٠١٨م).

وترى الدراسة بأن مظاهر انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" تظهر من خلال أربعة مؤشرات:

أول هذه المؤشرات تتمثل **بانحسار وتلاشي سيطرة التنظيم الجغرافية**. فمنذ عام ٢٠١٥م، بدأ تنظيم "الدولة الإسلامية" بفقدان سيطرته على الأراضي التي كان قد احتلها سابقا في العراق وسوريا: فعلى الجانب العراقي، استطاع الجيش العراقي استعادة مدن تكريت في آذار ونيسان ٢٠١٥م، وبيجي في تشرين الأول ٢٠١٥م، وسنجار في تشرين الثاني ٢٠١٥م، والرمادي في كانون الأول ٢٠١٥م، والفلوجة في حزيران ٢٠١٦م، والموصل في تموز ٢٠١٧م. وفي ضوء هذه السلسلة من الهزائم العسكرية التي مني بها التنظيم، أعلن رئيس الوزراء العراقي العبادي رسميا في كانون أول ٢٠١٧م انتصار القوات العراقية وهزيمة تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق (الرئيس العراقي حيدر العبادي، ٢٠١٧م). أما على الجانب السوري، فقد عاش التنظيم أيضا سلسلة واسعة من الهزائم العسكرية جراء تدخل القوات الروسية والإيرانية لصالح النظام السوري، والتي استطاعت طرد عناصر التنظيم من معظم مناطق سيطرته السورية، والتي كان أهمها في تدمر في آذار ٢٠١٧م، وفي الرقة في تشرين الأول ٢٠١٧م، وفي دير الزور ومدينة البوكمال في تشرين الثاني ٢٠١٧م، مما حدا بالرئيس الروسي حليف

النظام السوري إلى إعلان الانتصار على التنظيم في كانون الأول ٢٠١٧م (وكالة الأنباء الروسية سبوتنيك، ٢٠١٧م).

مؤشر ثان من مظاهر هذا الانهيار يظهر من خلال **انهيار قيادة التنظيم**. فقيادة التنظيم التي برزت بأقوى صورها عام ٢٠١٣م والتي بشرت بتحقيق "دولة الخلافة"، أصبح مصيرها مجهولا بعد زوال معظم أقطابها عن الخريطة القيادية للتنظيم بسبب القتل من قبل دول التحالف، أو بسبب التواري ومحاولة الاختفاء عن قوات التحالف والقوات العراقية والسورية. ولعل اختفاء أبي بكر البغدادي – الخليفة المزعوم لدولة الخلافة والقائد العام لتنظيم الدولة الإسلامية– وتواريه عن الأنظار، إلى جانب فقدان التنظيم للعديد من قادته الميدانيين خلال عامي ٢٠١٦م و٢٠١٧م لدليل على مدى الانهيار الذي عاشه التنظيم في تلك الفترة. والجدول التالي يتضمن أسماء كبار القادة في تنظيم الدولة الإسلامية والذين تمت تصفيتهم خلال الفترة ٢٠١٥–٢٠١٧:

جدول (٢):

قتلى قادة تنظيم "الدولة الإسلامية" في الفترة ٢٠١٥–٢٠١٧م.

التاريخ	اسم القائد وصفته
آب ٢٠١٥م	حاجي معتز – نائب البغدادي ويترأس المجلس العسكري، ويشرف على عمل أمراء المحافظات في مناطق التنظيم.
آذار ٢٠١٦م	أبو علاء العفري (أبو علي الأنباري) – نائب البغدادي وقيل إنه استلم زعامة التنظيم خلال فترة نقاهة البغدادي بعد تعرضه لإصابة.
آذار ٢٠١٦م	عمر الشيشاني (أبو عمر الشيشاني – طرخان باتيرشفيلي) – وزير الحرب وقائد القوات المسلحة بداعش.
آب ٢٠١٦م	أبو محمد العدناني (طه صبحي فلاحة) – المتحدث باسم داعش وأمير الشام (المسؤول الأول في سوريا) والمسؤول عن العمليات الخارجية بما فيها هجوم باريس.
أيلول ٢٠١٦م	أبو محمد فرقان (وائل عادل سلمان الفياض) – وزير الإعلام والمعلومات في داعش، وكان عضواً في مجلس الشورى الذي يقود التنظيم، وهو المسؤول الأول عن تسجيلات بروباغاندا التنظيم.
نيسان ٢٠١٧م	مصطفى جونيز – تركي الجنسية – قائد كبير.
أيار ٢٠١٧م	أبو عاصم الجزائري – قائد كبير.

أيار ٢٠١٧م	أبو خطاب الراوي – قائد كبير.
أيار ٢٠١٧م	أبو مصعب المصري – رابع أهم شخصية في التنظيم ووصفه النظام السوري بأنه "وزير حرب" داعش.
نيسان ٢٠١٧م	أبو علي الشعيطي – الأمير العسكري لداعش بدير الزور.
كانون الثاني ٢٠١٧م	أحمد أبو سمرة – أمريكي سوري ساهم بإنشاء مجلة دابق.
أيار ٢٠١٧م	تركي بن مبارك البنعلي – الشرعي العام لتنظيم داعش.
نيسان ٢٠١٧م	تركي الدليمي (أبو هاجر) – المسؤول العسكري لقضاء القائم. سالم العجمي (أبو خطاب) المسؤول الإداري للتنظيم في قضاء القائم. إبراهيم الأنصاري – مسؤول شعبة الدعاية في التنظيم.
نيسان ٢٠١٧م	إياد حامد الجميلي (أبو يحيى) – نائب البغدادي.
أيار ٢٠١٧م	براء كادك (ريان مشعل) أحد مؤسسي وكالة أعماق.
حزيران ٢٠١٧م	أبو عمر البلجيكي (أبو طلحة العسكري) –تدريب العناصر للعمليات الخارجية.

المصدر: موقع الحل السوري، منشور على الرابط: https://7al.net/2017/06/09.

مؤشر آخر يمكن رصده بخصوص انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" يظهر من خلال تزايد أعداد القتلى في صفوف عناصر التنظيم. فبعد أن قدرت عناصر التنظيم المقاتلة بـ ١٠٠ ألف مقاتل عام ٢٠١٤م، انخفض هذا العدد إلى ما يقارب ١٥–٢٠ ألف مقاتل بعد مقتل العدد الأكبر منهم وفرار بعض الآلاف إلى خارج العراق وسوريا. فقد أشار بهذا الشأن قائد قيادة العمليات الخاصة الأمريكية، الجنرال ريمون توماس (Raymond Thomas) خلال "منتدى أمن أسبن" (Aspen Security Forum) في يوليو / تموز ٢٠١٧، إذ قدر عدد قتلى تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ الحملة التي قادتها الولايات المتحدة ضد التنظيم في آب / أغسطس ٢٠١٤ بحوالي ٦٠–٧٠ ألف مقاتل (Regment, 2017).

كما يمكن اعتبار انحسار أعداد عمليات التجنيد في صفوف التنظيم مظهرا آخر من مظاهر هذا الانهيار: فبعد أن عملت نجاحات التنظيم المؤقتة عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م على استقطاب مجندين من مختلف التيارات الجهادية على المستويين العالمي والأقليمي في إطار هجرة المجاهدين إلى مواطن الجهاد في العراق وسوريا، بهدف مبايعة التنظيم الذي روج نفسه من خلال الجهاد ضد أنظمة الحكم في المنطقة وضد دول الغرب كافة انطلاقاً من مبدأ دار الإسلام ودار الحرب، بدأت هذه الأعداد بالانحسار. فبعد أن قدر عدد المقاتلين الذين انضموا للتنظيم من خارج العراق وسوريا بحوالي ٢٥–٣٠ ألف مقاتل

حتى عام ٢٠١٦م، انخفض هذا العدد بشكل واضح نظرا لتلاشي القيادة التنظيمية، وتزايد أعداد القتلى في صفوف التنظيم، وفقدانه مناطق السيطرة (Regment, 2017).

ثانياً: انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية" بين العوامل الداخلية والخارجية.

بعد سلسلة الهزائم الإقليمية التي لحقت بتنظيم "الدولة الإسلامية" على جميع الجبهات التي ينشط فيها، وبعد فقدان التنظيم لمعاقله الرئيسة في كل من العراق وسوريا، يدور التساؤل حول العوامل والأسباب التي أسهمت في أفول هذا التنظيم، وقادته إلى حافة الانهيار؟ وللإجابة على التساؤل، تعتقد الدراسة بأن هناك العديد من العوامل التي كان لها أثر كبير في انهيار التنظيم، والتي يمكن تصنيفها –بحسب الباحث– إلى فئتين: الأولى عوامل داخلية، والثانية خارجية.

أما بالنسبة للعوامل الداخلية، فتضم تلك العوامل التي يمكن إسناد مصدرها للبيئة الداخلية للتنظيم نفسه، ولعل أهم هذه العوامل الآتي:

١- **تنامي ظاهرة الصراعات الداخلية على المواقع القيادية في التنظيم:** على الرغم أن التنظيم يسعى للمحافظة على الانسجام بين فصائله المختلفة، إلا أن بعض العوامل الداخلية بدأت تؤثر بدورها بشكل سلبي على التنظيم، مما قاده إلى حالة من صراع القوى، والتصدع داخلي، التي بدأت تطفو بين قيادات التنظيم، والتي تعكس حالة متناقضة من المصالح وحجم التعصب والعنف بين مكوناته وأجنحته التنظيمية الداخلية. ولعل خلاف قائد التنظيم أبي بكر البغدادي مع أبو محمد الجولاني أحد مساعديه الرئيسيين في سوريا الذي رفض الانضمام للدولة الإسلامية بعد إعلانها الخلافة في العراق والشام عام ٢٠١٤م يمثل بداية هذا الصراع، حيث، اتهم الجولاني بمحاولة شق الصف ووأد مشروع الخلافة وفقا لأجندته الخاصة. ثم ظهرت بعض الكتل المنشقة كجناح "الحازميين"[(١)]، والذي يمثل الكتلة الأشدّ غلوا وتطرفا وتكفيرا من التنظيم ذاته؛ فقادته ومنظروه يكفرون قادة داعش وصولا لأبي بكر البغدادي، علاوة على تكفيرهم لقادة تنظيم القاعدة، مما قاد لاحقا إلى تنامي صراع عقدي تكفيري بين تيارين: الأول تابع لأبي بكر البغدادي والآخر يتبع التيار الحازمي، حيث استخدم التياران منصات الدعاية ومجلات التنظيم لإطلاق بيانات وفتاوى التكفير ضد بعضهم البعض وتبادل تهم الخيانة، وعمليات التطير الداخلية. حيث قام التنظيم بتصفية أكثر من ١٥٠ عنصراً من أعضائه خلال ٦ شهور (النجار، ٢٠١٧م). إلى جانب ذلك، فإن ظهور تصدعات كثيرة داخل التنظيم أفرزت ظاهرة أمراء الحرب التي تظهر في العادة في ظروف الحروب الأهلية، حيث أصبحت بعض القيادات التنظيمية أكثر جشعاً بسبب الخلاف على تقاسم الغنائم والأموال، والنساء،

مما جعلهم يرفضون التخلي عن مركز قوتهم ونفوذهم بسهولة للآخرين. إلى جانب ذلك، فقد تعززت الانشقاقات بين المجاهدين الأجانب (المهاجرين بعرف التنظيم) والمقاتلين المحليين في العراق وسوريا (الأنصار) (المصري، ٢٠١٥م). على مواقع النفوذ مما حدا بالمقاتلين الأجانب محاولة العودة إلى دولهم بعدما تبين لهم مدى صعوبة الحياة في العراق وسوريا وليبيا في ظل الخسائر التي بدأ التنظيم يعيشها في عامي ٢٠١٦م و٢٠١٧م.

٢- **تراجع جاذبية الأيدلوجية "الداعشية"**: فعلى الرغم أن الأسس الأيدولوجية المتبناة من قبل تنظيم "الدولة الإسلامية" التي أعلنها البغدادي في عام ٢٠١٣م، وأكد على إعلانها "كدولة الخلافة" في عام ٢٠١٤م شكلت محاولة جديدة لتجسيد الفكر السلفي الجهادي الذي تبنته العديد من التنظيمات الجهادية بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، إلا أنها بدأت تفقد بريقها شيئا فشيئا بعد أن تبين صعوبة تحقيقها في ظل الواقع الدولي الراهن. فالأسس الفكرية التي روج لها التنظيم أصبحت مثار جدل على مستويات داخل التنظيم وخارجه، حيث تضمنت نوعا من المبالغة العقدية والفكرية والتي تكشفت جوانب معالمها لاحقا لأفراد التنظيم والجماعات المؤيدة له (بكر، ٢٠١٧م): فالأفكار المتطرفة مثل تكفير المجتمعات الإسلامية، على اعتبار التي تعيش حالة من "الجاهلية" التي تبعدها عن أحكام الدين الإسلامي، وتكفير جميع الحكام المسلمين، على اعتبار أنهم حكام مرتدون يحتكمون بالقوانين الوضعية وليس وفق الشريعة الإسلامية، وولائهم لأعداء الأمة الإسلامية من يهود ونصارى، ودعوة الشعوب الإسلامية إلى الخروج على "حكام المسلمين المرتدين"، على اعتبار أن هذا الخروج يمثل أعظم أنواع الجهاد، وإتباع وسائل التغيير العنيفة من تفجير وتدمير وتخريب بهدف تحقيق التغيير المنشود بإقامة الدولة الإسلامية "دولة الخلافة" (البطوش، ٢٠٠٨م)، كلها أفكار أثبتت فشلها في تغيير الواقع الإسلامي المعاش؛ بل أن هذه الأفكار أسهمت في تردي هذا الواقع في الدول التي نشط فيها التنظيم كالعراق وسوريا وليبيا، مما جعل جاذبية هذه الأفكار تتراجع بشكل ملحوظ. ولعل مؤشرات هذا التراجع تظهر بشكل جلي من خلال فقدان التنظيم ميزة التوسع في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلافا لشعاره العام "باقية وتتمدد""، وكذلك من خلال تراجع مستوى الدعم الشعبي للتنظيم في مناطق سيطرته، إلى جانب الدعاية الإعلامية المضادة لأفكار التنظيم التي قامت بها حكومات الكثير من الدول بهدف تنمية وعي شعوب هذه الدول حول مآرب التنظيم الحقيقية (Burke, 2017).

٣- **إتباع وسائل التغيير العنيفة**: فعلى الرغم أن الدعاية الإعلامية لتنظيم "الدولة الإسلامية" اعتمدت بداية على بث مخرجات العمليات العسكرية التي يقوم بها أفراد التنظيم بصورة مروعة وقاسية وبهدف

إظهار "قوة وبأس عناصر التنظيم" ضد خصومهم، إلا أنها أسهمت لاحقا في تشكيل ردة فعل سلبية تجاه أهداف التنظيم وغاياته الحقيقية: فإعلام التنظيم الذي تضمن الكثير من الصور والمشاهد لعمليات الإعدام الجماعية أو لعمليات قطع الرؤوس، أو لتفجير دور العبادة والأسواق، واستغلال الأطفال في الحرب، وإعادة عبودية النساء، بهدف بث موجة من الرعب في كل مكان يتوجه إليه أفراد التنظيم حمل بين طياته أيضا مدى قسوة وبشاعة سلوك هذا أفراد هذا التنظيم، وبالتالي أفقدته مع الزمن صورته كحامل لفكرة "دولة الخلافة"، بل أظهرت حقيقة سلوك أفراده القائمة على ممارسات عنيفة لا تمت للإسلام بصلة كعمليات القتل والسرقة والاغتصاب والتعذيب والابتزاز (ذيابات، ٢٠١٥م). من هنا ترى هذه الدراسة بأن هذه الممارسات قادت بدورها إلى انعكاسات سلبية كان لها أكبر الأثر في تحول الصورة الذهنية للمستويات الشعبية والفردية حول هذا التنظيم؛ فصورة التنظيم الجهادي المناضل لخدمة القضايا الإسلامية عن طريق إقامة حلم "دولة الخلافة" تحولت بفعل ممارساته العنيفة إلى صورة التنظيم الإرهابي الباحث عن إشباع شهوات دنيوية متعلقة بالحصول على السلطة والنفوذ، وجمع الثروة والمال، والتمتع بالنساء والجنس.

٤- **تخلف المؤسسات التي تدير التنظيم:** فعلى الرغم أن التنظيم كان قد أعلن "دولة الخلافة" واستولى على مساحات شاسعة من الأراضي العراقية والسورية، إلا أن التنظيم قد فشل في انتزاع أي اعتراف سياسي يضفي إليه صفة الدولة المدارة من قبل مؤسسات سياسية ذات صلاحيات معروفة، مما جعل بنية بدائية وتفتقر إلى سمة المهنية في إدارة وتسيير الدول (بكر، ٢٠١٧م). فالتنظيم يقوده "الخليفة" أبو بكر البغدادي مع مجلس الشورى، وهو من أهم المؤسسات التابعة للتنظيم، يساعده نائبان في العراق وسوريا، إلى جانب ١٢ حاكمًا محليًا في كل من العراق وسوريا. كما يوجد للتنظيم العديد من الهيئات؛ مثل هيئة المالية وهيئة القيادة وهيئة الأمور العسكرية وهيئة الأمور القانونية وهيئة مساعدة وهيئة الأمن وهيئة الإعلام وغيره. ويتمتع الإعلام بأهمية كبيرة داخل هيكلية تنظيم "الدولة الإسلامية" في إيصال رسالته السياسية ونشر أيديولوجيته السلفية الجهادية (أبو هنية، ٢٠١٥م). وبالتالي فقد عجز التنظيم عن توفير أركان الدولة التقليدية، كما فشل في خلق متطلبات البنية التحتية والمؤسساتية لإقامة الدولة الحديثة القادرة على القيام بوظائفها المعروفة، مما جعله أشبه بالميليشيا العسكرية التي تحاول أن تستولي على السلطة القائمة في المناطق التي تم السيطرة عليها من قبله.

في حين أن العوامل الخارجية كان مصدرها البيئة الخارجية المحيطة للتنظيم، والتي كان أهمها ما يأتي:

١- **عدم الحصول على الاعتراف الدولي:** فمن المسلم به دوليا أن الدول تنشأ عندما تتكامل أركانها الأساسية والمتمثلة بالشعب، والإقليم والسلطة، والسيادة. وفي الوقت الذي يكتفي فيه فقه القانون الدستوري بهذه الأركان نجد أن فقه القانون الدولي قد أضاف الاعتراف الدولي لإضفاء وصف الشخصية القانونية الدولية على الدولة الناشئة، والذي يعرف عادة بأنه تصرف قانوني بإرادة منفردة من شخص دولي حيال كيان جديد بقصد الإقرار بصفته شخصاً دولياً، أو حيال وضع واقعي معين بغية إعطائه فعالية ممهدة لإكسابه المشروعية الدولية. وتتمثل الغاية من الاعتراف بإعطاء الكيان المعترف به صفة الشخص الدولي تجاه أعضاء المجموعة الدولية القائمة؛ ويعكس الاعتراف بالدولة مدى قدرتها على الدخول في علاقات دولية مع هذه المجموعة الدولية سواء كانت دولاً ومنظمات دولية (أبو هيف، ١٩٩٧م). من خلال كل هذا، نجد أن الواقع الدولي الذي فرضه تنظيم "الدولة الإسلامية" من خلال إعلانه لـ"دولة الخلافة" لم يكتسب قبول واعتراف أي طرف من الجماعة الدولية الموجودة سواء كانت دولا إسلامية أو غيرها، وهذا يعني أن "دولة الخلافة" لم تصبح حقيقة قانونية بسبب عدم الاعتراف بها وعدم قدرتها على الدخول بتفاعلات قانونية مع الدول والمنظمات القائمة في المجتمع الدولي، وليس من حق هذا التنظيم الذي لم يعترف بشخصية دولته أن يطالب الأشخاص الدولية مطالبة قانونية بوجوب الاعتراف به. بل العكس من ذلك، صُنف التنظيم رسميا من قبل الكثير من الدول (العربية والإسلامية وغيرها) والمنظمات (الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي) على أنه تنظيم إرهابي يجب مكافحته.

٢- **الخلاف مع تنظيم القاعدة وبعض التنظيمات الإسلامية الأخرى:** فعلى الرغم أن تنظيم "الدولة الإسلامية" قد بدأ علاقته بتنظيم "القاعدة" من خلال التأييد المطلق للعمليات الجهادية والتي تطورت لاحقا في تشرين الأول ٢٠٠٤م إلى الاندماج بتنظيم "القاعدة" من خلال ما عرف آنذاك بـ"قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين" (قلم موحد[٢]، ٢٠٠٦م)، بهدف عولمة الحركة الجهادية في العراق، وتقديم نموذج للاندماج التنظيمي للجماعات الإسلامية الجهادية في مواجهة خصوم الإسلام وعلى رأسهم الولايات المتحدة وحلفائها؛ إلا أن الخلاف والانقسام بدأ يطفو على سطح علاقات التنظيمين: ففي ظل دعوة البغدادي عام ٢٠١٣م عن إقامة "الدولة الإسلامية في العراق والشام" رفض تنظيم "جبهة النصرة" –التابع لتنظيم "القاعدة"– في سوريا هذه الدعوة، مما أشعل فتيل المنافسة بين التنظيمين على قيادة الحركة الجهادية في سوريا، ليتطور الأمر في اتجاه شقاق أيدلوجي وتنظيمي حول العديد من الأسباب التي يمكن تلخيصها بالآتي (الخطيب، ٢٠١٤م):

- خلاف أيدولوجي حول قضايا تكفير الآخرين، وشروط قرشية الخليفة، وحقوق البيعة، والموقف من الطوائف والأديان الأخرى، وإعلان الخلافة دون تمكين، وقبول الديمقراطية.
- خلاف منهجي وإجرائي حول قضايا مغالاة تنظيم "الدولة الإسلامية" في استخدام التطرف مع اتهام "القاعدة" بالابتعاد عن ساحات الجهاد، ومهادنة الأنظمة الحاكمة.
- خلاف نفوذ حول قيادة حركة الجهاد العالمية، ومحاولة تنظيم "الدولة الإسلامية" توسيع دائرة نفوذه على حساب تنظيم "القاعدة".

هذه الخلافات تصاعدت بشكل سريع وتطورت إلى اتهامات متبادلة، التي تصاعدت بدورها حتى وصلت إلى درجة الصدام العسكري المباشر في بعض الأحيان (Zelin, 2014)، مما عمل لاحقا على المساهمة في إضعاف تنظيم "الدولة الإسلامية" الذي أضاف لقائمة خصومه الكثير من الحركات والجماعات الإسلامية الجهادية الموالية لتنظيم "القاعدة" مثل "جبهة النصرة" في سوريا، وتنظيم "الشباب" في شرق أفريقيا وحركة "حماس" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، و"حزب الله" في لبنان، وحركة "طالبان" الأفغانية.

٣- **إعادة بناء النظامين العراقي والسوري:** فبعد أن عاش النظامان مرحلة من الضعف السياسي والاقتصادي والأمني مع بدء مرحلة الربيع العربي والتي أسهمت في سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على مناطق واسعة من إقليميهما في شمال وغرب العراق وفي شرق سوريا، بدأ النظامان في إعادة توازنهما وإحكام سيطرتهما شيئا فشيئا على أراضيهما: فالنظام العراقي تخلص من إرث سياسات نظام الرئيس العراقي السابق (المالكي) الذي أدى إلى تراجع العراق داخليا وخارجيا؛ فعمل على تعزيز حماية العراق وحفظ استقراره وأمنه بمساعدة العمليات العسكرية التي قادها التحالف الدولي ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، ثم أقر جملة من الإصلاحات السياسية التي تضمن مشاركة كافة الأطياف العراقية، واستطاع إعادة هيكلة الجيش العراقي، وتنفيذ العديد من الإصلاحات الاقتصادية لإعادة البنية التحتية للعراق، كما تمكن من تنفيذ سياسة انفتاح وتقارب مع القوى الإقليمية والدولية والتي عملت على إقامة علاقات جيدة مع المحيط العربي والدولي على المستويات السياسية والاقتصادية والتجارية. أما على الجانب السوري، فبالرغم من استمرار تردي الحالة السياسة والاقتصادية في الإقليم، إلا أن النظام السوري استطاع أن يوظف تحالفاته الدولية مع القوة الروسية في استعادة سيطرته على الكثير من المناطق التي توسع فيها تنظيم "الدولة الإسلامية" سابقا، وبالتالي تسجيل تفوق عسكري على كافة خصومه داخل حدوده.

٤- **تغير ميزان القوة العسكري لصالح التحالفات الدولية الموجودة في العراق وسوريا:** فبعد أن عاش تنظيم "الدولة الإسلامية" مرحلة من "الزهو العسكري" والتي حققها عام ٢٠١٤م من خلال توسعه في الشمال الغربي العراقي وفي الشرق السوري دون أية مقاومة فاعلة من قبل القوات العراقية والسورية التي كانت تعيش أسوأ حالاتها بسبب ضعف النظامين، تغيرت معادلة الصراع العسكري بعد ذلك منذ دخول قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة من جهة، والتدخل الروسي والإيراني العسكري من جهة أخرى مسرح العمليات العسكرية منذ نهاية عام ٢٠١٤م، إذ عملت هذه التحالفات العسكرية على قلب ميزان القوة العسكري على أرض الواقع لصالح النظامين العراقي والسوري مقابل انهيار واضح للقوة العسكرية لتنظيم "الدولة الإسلامية". وعند مقارنة القوة العسكرية لتنظيم "الدولة الإسلامية" مع هذه التحالفات المدججة بالإمكانات العسكرية والتكنولوجية سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى نوعية الأسلحة، فإن ما يملكه تنظيم "الدولة الإسلامية" لا يكاد يقارن: فالتنظيم لا يمتلك من هذه القوة العسكرية إلا بعض أنواع الأسلحة الصغيرة التي تشمل بنادق القتال، وبنادق القنص، والرشاشات، والمسدسات، والمتفجرات وبعض مضادات الدبابات وقاذفات القنابل اليدوية وبعض القاذفات المضادة للطائرات، إضافة إلى بعض الأسلحة المسحوبة (المدفعية)، والسيارات، والدبابات ومركبات القتال المدرعة (حوالي ٢٠٠-٢٥٠)، والمدفعية ذاتية الدفع، والطائرات (أقل من ١٥ طائرة)، وبعض الزوارق والسفن الآلية (Wilson, 2016).

٥- **ضبط الحدود الإقليمية المحاذية لمناطق سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية":** فالنجاحات المفاجئة التي حققها تنظيم "الدولة الإسلامية" في عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م خاصة فيما يتعلق بكسر الحدود السيادية بين العراق وسوريا عمل على دق ناقوس خطر التهديدات الإقليمية لتنظيم "الدولة الإسلامية" في المنطقة برمتها، مما عمل على فرض معادلة إقليمية جديدة قوامها التحالف – الإرهاب لتحل محل المعادلة الإقليمية السابقة المتمثلة بمعادلة الاعتدال– الممانعة (ذيابات، ٢٠١٥م). فدول المنطقة المحاذية للعراق وسوريا (إيران، وتركي، والسعودية، والكويت، والأردن، ولبنان) ورغم خلافاتها السياسية كانت قد وجدت نفسها في خانة خصوم تنظيم "الدولة الإسلامية"، الذي وجد نفسه وحيدا في مواجهة هذه الدول، التي بدأت تتخذ من الإجراءات السياسية والاقتصادية والأمنية –سواء كان ذلك بصورة جماعية أو ثنائية أو حتى فردية– بهدف السيطرة على حدودها، ومنع تمدد التنظيم إلى أقاليمها. هذه السياسات عملت على ضبط حدود هذه الدول، وعملت على إعاقة حركة الدخول والخروج من مناطق سيطرة التنظيم في العراق وسوريا، مما كان له إسهام كبير في إضعاف تنظيم "الدولة الإسلامية"

خاصة فيما يتعلق بالحد من أعداد الملتحقين بالتنظيم من الدول الأخرى، وكذلك الحد من توظيف التنظيم لبعض مصادر تمويله (بيع النفط وتجارة الآثار) في شراء الأسلحة من الأسواق السوداء.

٦- **تزايد ضغط الرأي العام العالم تجاه التنظيم:** فتهديدات تنظيم "الدولة الإسلامية" لكافة الدول (إسلامية وغير إسلامية) المبنية على أسس أيدلوجية متطرفة غير مقبولة حتى في المجتمعات الإسلامية، والمترجمة من خلال ممارسات عنيفة بحق المدنيين (حوادث الاختطاف، وأخذ الرهائن، والإبادات الجماعية والفردية كما حصل في جبل سنجار لليزيدين وكذلك حرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة حيا) والممتلكات والمعالم الثقافية والدينية كانت قد ألقت بظلالها على المستويين الإقليمي والدولي، مما خلق قناعة أممية وعلى مستوى المجتمع الدولي بضرورة مكافحة هذا التهديد، خاصة وأن ممارسات تنظيم "الدولة الإسلامية" قد نظر لها بأنها تهديد للأمن والسلم الدوليين، وانتهاك لقواعد القانونين الدولي والإنساني بحسب قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢١٧٠ (UN-Security Council, 2014). وبالتالي مهد ذلك في خلق استنكار عالمي في شتى دول العالم وعلى كافة المستويات الشعبية ضد الممارسات اللاإنسانية للتنظيم، مما جعل أفكار وممارسات وأهداف التنظيم في دائرة الانتقادات الشعبية، والتي ساندت حكوماتها بشكل عام بضرورة التضييق على هذا التنظيم، بهدف القضاء عليه.

٧- **فقدان المصادر الاقتصادية لتمويل التنظيم:** فبعد أن كان التنظيم يتمتع بمصادر تمويل وإيرادات سنوية -أهمها إيرادات الزكاة وبيع النفط والآثار والهبات الخارجية والخطف والنهب والمصادرة- بلغت ما يقارب ١.٥٢ مليار دولار عام ٢٠١٤م، انخفضت هذه الإيرادات إلى ما يقارب ٦٩٥ مليون دولار في عام ٢٠١٦ مما أفقده تدفقات تمويلية كان من شأنها أن توظف في خدمة أهداف التنظيم (Heisser, 2017). فبحسب المؤشر العالمي للإرهاب (Global Terrorism Index, 2017) قدرت إيرادات **الزكاة** التي جمعها التنظيم خلال عام ٢٠١٤م بـ ٣٥٠ مليون دولار، والتي وصلت إلى ما يقارب من ٦٠٠ مليون دولار في عام ٢٠١٥م. إلا أن فقدان سيطرة التنظيم على العديد من المناطق والمدن الكبرى وبعض نقاط المعابر الحدودية بين العراق وسوريا قاد إلى انخفاض هذه المبالغ إلى ما يقارب ٣٠٠ مليون دولار في عام ٢٠١٦م. الأمر ذاته ينطبق على إيرادات آبار النفط التي سيطر عليها التنظيم في العراق وسوريا، حيث تراوحت عائدات النفط بين ٣٠٠ مليون دولار عام ٢٠١٤م وبلغت ذروتها عام ٢٠١٥م بحوالي إلى ٤٩٠ مليون دولار خلال استمرار سيطرة التنظيم على العديد من آبار النفط العراقية والسورية في عام ٢٠١٥م. إلا أن انطلاق غارات التحالف الدولي العسكري "المد والجزر ٢" في تشرين الأول ٢٠١٥م، استهدف بعض المحطات المسئولة عن استخراج النفط وبعض الشاحنات

الناقلة له مما قاد إلى فقدان السيطرة على أسواق النفط الرئيسية للتنظيم في شمال سوريا وغرب العراق، وأسفر بدوره إلى انخفاض هذا العائد المهم إلى ما يقارب ٢٢٥ مليون دولار لعام ٢٠١٦م. هذا الانخفاض طال أيضا عائدات خطف الرهائن جراء الفدية المالية لقاء الإفراج عنهم، حيث انخفضت هذه العائدات إلى ما يقارب ٢٠ مليون دولار عام ٢٠١٦م بعد أن وصلت في عام ٢٠١٤م إلى ١٢٠ مليون دولار. أما بالنسبة لعائدات الغرامات والمصادرة والنهب، فقد شهدت انخفاضا ملموسا جراء فقدان التنظيم السيطرة على الكثير من المناطق العراقية والسورية منذ عام ٢٠١٥م، فقد تراجعت إلى ما يقارب ١٥٠ مليون دولار بعد أن قدرت بما يقارب ٧٥٠ مليون دولار عام ٢٠١٤م. وأخيرا، يعتقد أن عائدات بيع وتهريب الآثار وكذلك عائدات الهبات الخارجية –وهي غير معروفة لسرية حدوثها– قد أصابها انخفاضا واضحا بعد تشديد الإجراءات الأمنية على الحدود وعلى انتقال الأموال لكل من العراق وسوريا (Global Terrorism Index, 2017).

جدول (١):

مصادر تمويل تنظيم "الدولة الإسلامية ٢٠١٤-٢٠١٦م بالمليون دولار.

مصدر التمويل	٢٠١٤م	٢٠١٥م	٢٠١٦م
الزكاة	٣٥٠	٦٠٠	٣٠٠
النفط	٣٠٠	٤٩٠	٢٢٥
الخطف	١٢٠	١٠٠	٢٠
الآثار	غير معروف	غير معروف	غير معروف
الهبات	غير معروف	غير معروف	غير معروف
النهب، المصادرة، والغرامات	٧٥٠	٢٧٥	١٥٠
المجموع	**١٥٢٠**	**١٤٦٥**	**٦٩٥**

المصدر: Global Terrorism Index 2017.

ثالثاً: سقوط تنظيم "الدولة الإسلامية" والسيناريوهات المحتملة.

في ضوء الهزائم العسكرية لتنظيم "الدولة الإسلامية" عامي ٢٠١٦م و٢٠١٧م، وفي ظل فقدانه لرموز قيادته، وتلاشي عناصره البشرية، وانحسار معاقله الرئيسية ومناطق نفوذه وسيطرته في العراق وسوريا، أصبح انهيار هذا التنظيم حتمية لا يمكن انكارها. إلا أن هذا السقوط قد يحمل بين طياته مجموعة من السيناريوهات المحتملة، والتي يمكن أن ترسم خريطته المستقبلية. فانتهاء التنظيم "كدولة

خلافة" على الساحتين العراقية والسورية قد تضع بقايا فلوله وعناصره أمام العديد من الخيارات المستقبلية، والتي يمكن أن تتخذ التوجهات الآتية:

- العودة إلى النهج الجهادي التقليدي القائم على ممارسة الهجمات الإرهابية على أهداف محلية وأجنبية في مناطق تواجد هذه العناصر، والتي سوف تنفذ بين الحين والآخر بأسلوب "حرب العصابات" من خلال بعض "الخلايا النائمة"، أو بأسلوب "الذئاب المنفردة" القائم على تنفيذ هذه الهجمات بصورة فردية ودون أي ارتباط تنظيمي (أبو هنية، ٢٠١٨م).
- استمرار عناصر التنظيم بتعبئة عناصر جهادية جديدة في جميع دول العالم من خلال استثمار وسائل التواصل الاجتماعي بهدف إعادة الروح إلى فكرة "الجهادية العالمية"، خاصة وأن التنظيمات الجهادية تمتلك السمة "الانشطارية" القائمة على التكاثر وإعادة الإحياء. ولعل تاريخ تنظيم "الدولة الإسلامية" يدلل على هذا الافتراض في ضوء تحولاته التنظيمية عبر مراحل تطوره بدءا من ظهوره كأحد التنظيمات الجهادية في الأردن تحت مسمى تنظيم "بيعة الإمام" عام ١٩٩٣م، ومرورا بانصهاره في تنظيم "القاعدة" تحت مسمى تنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين" في العراق عام ٢٠٠٤م، ثم قيامه كتنظيم "دولة العراق الإسلامية" عام ٢٠٠٦م، وبعدها كتنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" عام ٢٠١٣م، وانتهاء بمسمى تنظيم "الدولة الإسلامية" ٢٠١٤م (ذيابات، ٢٠١٦م).
- محاولة فرار الجهاديين إلى دول أخرى، حيث تتواجد "نوى جهادية" لتنظيم "الدولة الإسلامية" وتحويل التركيز من الشرق الأوسط إلى مناطق أخرى في آسيا الوسطى وأفغانستان وباكستان واليمن وشمال أفريقيا خاصة في ليبيا، خاصة وأن هذه الدول لا زالت تعاني من حالة عدم الاستقرار السياسي فيها نظرا للضعف السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه، مما جعلها بؤر استقطاب جاذبة لفلول عناصر تنظيم "الدولة الإسلامية" (أبو هنية، ٢٠١٨م).
- تزايد التهديد الإرهابي الناجم عن عودة المقاتلين الأجانب لدولهم، وخاصة الغربية منها. فبحسب التقديرات الغربية هناك ما يقارب ٢٥-٣٠ ألف مقاتل أجنبي التحقوا بتنظيم "دولة الخلافة" التي أعلنها التنظيم. إلا أن الخسارة الميدانية للتنظيم أمام هجمات التحالف الدولي خلال عامي ٢٠١٦م و٢٠١٧م دفعت بأعداد كبيرة منهم إلى العودة إلى دولهم الأصلية. ومن هنا يبرز التهديد الأمني لهؤلاء العائدين، خاصة في ظل صعوبة التفريق بين الذين يعودون لأنهم فقدوا قناعاتهم وميولهم الجهادية، وبين الذين عادوا لأنهم يريدون مواصلة الجهاد بأسلوب مختلف. ولعل عودة المئات من المجاهدين العرب الذين قاتلوا ضد الاتحاد السوفياتي في أفغانستان خلال ثمانينيات

القرن الماضي يدلل بشكل واضح على هذا الافتراض؛ إذ بدأ بعضهم –ومنهم أبو مصعب الزرقاوي الأب الروحي لتنظيم "الدولة الإسلامية"–بتشكيل عدد من الجماعات الجهادية في دولهم، وحاولوا نقل الساحات الجهادية إلى دولهم الأصلية (Barett, 2017).

- التحاق جهاديي تنظيم "الدولة الإسلامية" بصفوف تنظيم "القاعدة". فعلى الرغم أن التنظيمين عاشا حالة من الانقسام والصراع على قيادة الحركة الجهادية العالمية بسبب بعض الخلافات المرجعية والفكرية والمطامع الاستراتيجية والاقتصادية إبان النجاحات التي حققها تنظيم "الدولة الإسلامية" خلال عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م، إلا أن البراغماتية الجهادية لدى فلول عناصر تنظيم "الدولة الإسلامية" قد تدفع بهم إلى اللجوء إلى التنظيم الجهادي الأم "القاعدة"، خاصة في ظل صعوبة انسلاخهم عن الفكر الجهادي الذي يؤمنون به، وكذلك في ظل صعوبة عودتهم إلى حياتهم الطبيعية في مجتمعاتهم الأصلية. هذا الأمر، سيتيح الفرصة لتنظيم "القاعدة" من استعادة الصدارة في المشهد الجهادي العالمي، تمهيدا لملء الفراغ الجهادي في العالم، سواء كان ذلك من خلال تقوية فروعها في بعض الدول (ليبيا، واليمن، ومصر، وسوريا، وأفغانستان، وباكستان، والشيشان)، أو من خلال إعادة توجيه ضرباتها الإرهابية في بعض الدول الغربية مثل أوروبا الغربية، والولايات المتحدة (Jones, 2017).

ومن خلال نظرة فاحصة لهذه التوجهات المستقبلية، تعتقد الدراسة بأن جميعها تتقاسم فكرة أساسية مفادها أن قضية زوال التنظيم بشكل نهائي أمر مشكوك فيه ولا يمكن تأكيده، بمعنى أن الهزيمة العسكرية التي لحقت بتنظيم "الدولة الإسلامية" وقادتها إلى "الانهيار الفيزيائي" على الإقليمين العراقي والسوري، لا يشترط أن تكون قد عملت على إنهاء وجود هذا التنظيم كليا وبشكل جذري. ولعل الأسباب الآتية تدعم قبول هذا الافتراض:

١- صعوبة اجتثاث الفكر الإرهابي لدى عناصر التنظيم، خاصة وأن عناصر التنظيم يبررون أفعالهم من منظور ديني منغلق، ووفقا لاعتبارات عقدية مسلم بها من قبلهم. وبالتالي فإن مسألة انسلاخهم عن أفكارهم المتشددة والمتطرفة لن تكون سهلة، إن لم تكن أشبه بالمستحيلة.

٢- توفر أرضية خصبة لانصهار وذوبان عناصر التنظيم في النسيج الاجتماعي العربي والإسلامي الموجود في الدول العربية أو حتى في الدول الغربية. ففي ظل انخفاض درجة الوعي الشعبي العربي والإسلامي حول الظاهرة الإرهابية، وتوفر درجات من التعاطف مع أفكار التنظيم، الذي قدم نفسه سابقا "كدولة خلافة" تسعى لتحقيق العدالة المجتمعية، وإلى "جهاد الأنظمة الاستبدادية"،

ومحاربة "الغرب الذي يقود حربا ضد المسلمين"، فإن مسألة ملاحقة هذه العناصر تصبح مسألة معقدة، خاصة في ظل صعوبة التمييز بين الإرهابيين عن غيرهم من المتشددين الدينيين.

٣- استمرار الدول الغربية بانتهاج سياسات خارجية سلبية تجاه القضايا العربية والإسلامية في فلسطين وسوريا والعراق وليبيا واليمن والشيشان وباكستان سوف تعمل على تغذية وإحياء المبررات السياسية والاقتصادية لتفريخ عناصر إرهابية جديدة معادية للدول الغربية وللدول الصديقة والمؤيدة للغرب وبغض النظر إن كانت عربية أو إسلامية، مما يعني استمرار حلقة العنف الإرهابي دون توقف.

٤- استمرار التحديات السياسية والاقتصادية التي تعيشها الشعوب العربية والإسلامية في بلدانها في ظل التمايز السياسي والاقتصادي والاجتماعي للطبقات الحاكمة يسهم أيضا في تسهيل انتشار الأفكار الإرهابية المتبناة من قبل تنظيم "الدولة الإسلامية".

٥- تعلق قادة وأفراد التنظيم بالفكر الجهادي الإرهابي في ظل طبيعة المكاسب التي المادية (الأموال والنفوذ والنساء) التي حققت خلال فترة نجاح التنظيم.

٦- وأخيرا، لا ننسى بأن فلسفة الإرهاب بشكل عام تقوم على السرية التنظيمية والحذر الشديد، مما يعني بأن نشاطات فلول تنظيم "الدولة الإسلامية" أو مناصريه من تواصل أو تخطيط أو تجهيز لنشاطات عنيفة ستطبع بطابع سري وحذر، خاصة وأن رقابة الدول على هذه النشاطات لن تكون فعالة جدا في ظل ثورة الاتصال والمواصلات التي يعيشها عالم اليوم.

الخلاصة ونتائج الدراسة.

وضحت الدراسة ظاهرة انهيار تنظيم "الدولة الإسلامية"، وبينت في البداية ملامح هذا الانهيار الذي تمثل بانحسار وتلاشي سيطرة التنظيم الجغرافية، وانهيار قيادته، وتزايد عدد قتلى عناصره، وانخفاض عمليات تجنيد عناصره. وقد استطاعت الدراسة بذلك إثبات فرضيتها المتمثلة بوجود علاقة ارتباطيه ايجابية بين توفر العديد من العوامل الداخلية والخارجية المحيطة بتنظيم "الدولة الإسلامية" وبين انهياره. كما قامت الدراسة بتقديم تصور مستقبلي حول السيناريوهات المحتملة لنشاط هذا التنظيم بعد هذا الانهيار، والذي يفيد بأن التنظيم –رغم خسارته العسكرية– سيحاول التكيف مع هذه الهزيمة من خلال استثمار كافة الفرص المتاحة لاستنساخ نشاطه "الجهادي"، سواء كان ذلك ذاتيا، ومن خلال تحالفاته مع تنظيمات إرهابية أخرى (تنظيم القاعدة).

إلى جانب هذا، قامت الدراسة بالتوصل إلى بعض النتائج المهمة والتي يمكن إيجازها بالآتي:

- تمثلت الملامح العامة لانهيار التنظيم بفقدان التنظيم سيطرته الجغرافية في العراق وسوريا، وانهيار قيادته من خلال قتل معظم رموزها وفرار بقيتهم، وتزايد عدد قتلى عناصره، وانخفاض عمليات تجنيد مناصرين ومؤيدين له.
- بينت الدراسة بعض العوامل الداخلية التي أسهمت في انهيار التنظيم، والتي تتضمن: تنامي ظاهرة الصراعات الداخلية على المواقع القيادية في التنظيم، وتراجع جاذبية الأيدلوجية "الداعشية"، وإتباع وسائل التغيير العنيفة، وتخلف المؤسسات التي تقوم على إدارة التنظيم.
- بينت الدراسة طبيعة العوامل الخارجية التي كان لها أثر مهم في انهيار التنظيم مثل: عدم الحصول على الاعتراف الدولي، والخلاف مع تنظيم القاعدة وبعض التنظيمات الإسلامية الأخرى، وإعادة بناء النظامين العراقي والسوري، وتغير ميزان القوة العسكري لصالح التحالفات الدولية الموجودة في العراق وسوريا، وضبط الحدود الإقليمية المحاذية لمناطق سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، وتزايد ضغط الرأي العام العالم تجاه التنظيم، وفقدان المصادر الاقتصادية لتمويل التنظيم.
- وضحت الدراسة في النهاية أهم السيناريوهات المتعلقة بمستقبل التنظيم من حيث احتمالية عودة عناصر التنظيم الفارة إلى نهجهم التقاليدي بممارسة الهجمات الإرهابية على أهداف محلية وأجنبية، أو بمحاولتهم الالتحاق بتنظيمات جهادية أخرى كتنظيم "القاعدة"، خاصة أذا تمكنوا من العودة إلى دولهم الأصلية، حيث سيكون بمقدورهم إعادة تعبئة وتجنيد العديد من المتطرفين الذين يحملون فكر التنظيم المتطرف.
- وأخيرا ترى الدراسة بأن الحديث عن زوال تنظيم "الدولة الإسلامية" بشكل نهائي لا زال مبكرا، خاصة وأن عملية تحديد هوية المتطرفين الإرهابيين ليست باليسيرة في ظل صعوبة اختراقهم، وفي ظل صعوبة التعرف على خلفياتهم الفكرية والأيدلوجية، وكذلك صعوبة التنبؤ بأفعالهم ونشاطاتهم المستقبلية.

الهوامش.

(١) تنظيم ينسب إلى القيادي في السلفية الجهادية أحمد بن عمر الحازمي والمتحفظ عليه داخل أحد سجون السعودية منذ العام ٢٠١٥م، أحدثَ تلك الكتل التي ظهرت مؤخرا من رحم تنظيم داعش.

(٢) قلم موحد (اسم مستعار لأحد عناصر التنظيم).

قائمة المراجع.

المراجع العربية.

١- أبو هنية، حسن (٢٠١٨م). **تنظيم "الدولة الإسلامية" ما بعد أفول خلافته**، ملفات مركز الجزيرة للدراسات، منشور على الرابط:
http://studies.aljazeera.net/mritems/Documents/2018/2/5/a009f29fff264d748f887e476a4b3751_100.pdf

٢- أبو هنية، حسن (٢٠١٥م). البناء الهيكلي لتنظيم "الدولة الإسلامية"، **ملفات مركز دراسات الجزيرة**، منشور على الرابط:
http://studies.aljazeera.net/ar/files/isil/2014/11/2014112363816513973.html

٣- أبو هيف، علي صادق (١٩٩٧م). **القانون الدولي العام**. منشأة المعارف، الاسكندرية، (ط١٧)، مصر.

٤- البطوش، عمر (٢٠٠٨م). **كشف الأستار عما في تنظيم القاعدة من أفكار وأخطار**، عمان، مؤسسة الربيع، ص١٠٧-١٩٠.

٥- بكر، علي (٢٠١٧م). "التداعيات المحتملة لهزيمة "داعش" في الموصل"، **مجلة السياسة الدولية**، مركز الأهرام، منشور على الرابط:
http://www.siyassa.org.eg/News/15165.aspx.

٦- الخطيب، معتز، تنظيم (٢٠١٤م). "**الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع**، ملفات مركز الجزيرة للدراسات. منشور على الرابط:
http://studies.aljazeera.net/files/isil/2014/11/2014112355523312655.htm

٧- ذيابات، خير (٢٠١٦م). "التوجهات الاستراتيجية لتنظيمي "القاعدة" و"الدولة الإسلامية": دراسة مقارنة"، **مجلة المنارة**، جامعة آل البيت، مجلد (٢٢)، عدد (٣ ا)، ص٣٢٧-٣٦٠.

٨- ذيابات، خير (٢٠١٥م). "تداعيات صعود تنظيم "الدولة الإسلامية" على منطقة الشرق الأوسط، **المجلة الأردنية في القانون والعلوم السياسية**، جامعة مؤتة، مج (٧)، ع (٤)، ص٩٣-١٣٠.

٩- قلم موحد (اسم مستعار لأحد عناصر التنظيم) (٢٠٠٦م). **الدولة الإسلامية في العراق والشام: البصيرة في حقيقة المسيرة**، مؤسسة المأسدة الإعلامية، منشور على الرابط:
https: //www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=32068.

١٠- العبادي، حيدر (الرئيس العراقي) (٢٠١٧/٧/١٠م). خطاب الإعلان الرسمي عن انتصار الجيش العراقي على تنظيم "الدولة الإسلامية"، منشور على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=7gX81kNYsaw.

١١- المصري، أبو عبد الله (أحد أفراد تنظيم الدولة) (٢٠١٥م). **وثيقة بعنوان مبادئ إدارة الدولة الإسلامية**، منشور على الرابط:
https://www.scribd.com/fullscreen/292084330?access_key=key-BtU7pKjya TSOs08xGm45&allow_share=true&escape=false&view_mode=scroll

١٢- موقع الحل السوري (٢٠١٧م). **قتلى قادة داعش بالأسماء والأماكن**، منشور على الرابط: https://7al.net/2017/06/09.

١٣- النجار، هشام (٢٠١٧م). الحازميون ... شواهد الانشقاقات صلب داعش وصعود النسخ الأكثر غلوا، **جريدة العرب**، لندن، ٢٠١٧/١٠/٦م، العدد ١٠٧٧٣، ص١٣. منشور على الرابط: http://www.alarab.co.uk/article/.

١٤- وكالة الأنباء الروسية سبوتنيك (٢٠١٧/١٢/٦م)، بوتين يتحدث عن "هزيمة داعش الكاملة" في سوريا.
https://arabic.sputniknews.com/russia/201712061028165116-.

المراجع الأجنبية:

1- Barett. R. (2017)**.** *Beyond the Caliphate: Foreign Fighters and the Threat of Returnees*. The Soufan Center.

2- Burke. J. (2017*). Rise and fall of Isis: its dream of a caliphate is over, so what now?* Retrieved from: https: www.theguardian.com/world/2017/oct/21/isis-caliphate-islamic-state-raqqa-iraq-islamist.

3- *Global Terrorism Index*. (2017). Retrieved from: http: //visionofhumanity.org/app/ uploads/2017/11/Global-Terrorism-Index-2017.pdf.

4- Heisser. S. (2017*). Caliphate in Decline: An Estimate of Islamic States financial fortunes*. The International Centre for the Study of Radicalization (ICSR).

5- Jones G. (2017). *Rolling back the Islamic State*. Rand Corporation.

6- Regment. P. (2017). "No. Trump did not defeat ISIS", CNN, 18.10.2017. Retrieved from: http://edition.cnn.com/2017/10/18/opinions/trump-isis-defeat-opinion-bergen/index.html.

7- Seth G. J. 2017. *Rolling back the Islamic State*. Rand Corporation.

8- The Counter-ISIL Coalition Ministerial. (2014). "Joint Statement Issued by Partners at Meeting". State.gov. 3 December 2014. Retrieved from: https: //2009-2017.state.gov/r/pa/prs/ps/2014/12/234627.htm.

9- UN-Security Council. (2014). Resolution No. 2170 on 15. 8. 2014.

10- Wilson, J. et al. (2016). *These are the weapons Islamic State fighters are using to terrify the Middle East*. Retrieved from: http: //www.businessinsider.com/isis-military-equipment-arsenal-2016?IR=T/#t-55-tanks-1.

11- Zelin A. (2014*). The War between ISIS and al-Qaeda for Supremacy of the Global Jihadist Movement*. Retrieved from: http://www.washingtoninstitute. org/uploads/Documents/pubs/ResearchNote_20_Zelin.pdf.